قصة موسى كريدي

شمس وفنارات ليل وأرجوحة

(الى فؤاد التكرلي)

نعدو راكضين أو مبطئين ، نتيه في البر الرملي او نقف على حافة واد أو كهف . لا نخشى ان نرتد ، ذلك ، ان ظلالنا ، مهما اتسعت ، فلن ترتطم في خاتمة المطاف الا بزقاق ، والزقاق يلد زقاقاً أو حجراً أو بئراً ، والبئر عين تثب الينا من قاع دهليز لكننا ننام في هوائها يمسنا منها برد عذب كالماء . تملأ المكان ضحكاتنا الصغيرة نحلم كل صيف بالسباحة في الجذول (ننطق الدال ذالاً) ننهض من مخبأ الحجر الى الممرات التي اصابتها العتمة في الصميم ، نتحرك كالزواحف ، نلعب الختيلة ، على سطح المخبأ الحجري ثمة مربع دكة أو كوز ماء . والفوانيس ، في اخر الممشى ، ونحن فيما حول شجيرة نعناع على يمين الباب الخارجي ندور كالعصافير نردد معاً في شبه جوقة :

طير بضباب .. هوبي
غنوة عذاب .. هوبي
ما ظل عتاب .. هوبي

وهوبي على ما الفناه ، جالس القرفصاء ، على دكة الصخر قبالتنا ـ يمصمص ـ في شفتين غليظتين ما تبقى من عظمة بحجم الكف غير عابىء بنا ولا مصغ لما نردده .. منشغل بمسح اصابعه مما علق بها ، وتراه يحملق في الفضاء بزيغ من عينيه المتألقتين تارةً واخرى يهذرم في شبه غمغمة كلمات قلما نفهمها تخرج من جوفه قوية نحسبها لفرط خوفنا صادرة من فم دب ، ونحن ، بازائه ، لم نر الدب قط ، ما شكله مالون عينيه ، قالوا اذا اردتم ان تروا الدب فانظروا الى وجه هوبي .. نظرنا اليه ، فتى ، اشعث ، قصير الاطراف ، بدينا ، اذناه كبيرتان تتحركان منتصبتين بنبض ظاهر تتوسط مثلث ذقنه نقطة وشم زرقاء ، عيناه سوداوان واسعتان اذا اقتربنا منهما رأينا انفسنا في بوبؤيهما صغاراً جداً لكنه سرعان ما ينهرنا بنفخة منه في وجوهنا فنهرب عنه لندور مرة أخرى خلف الشجيرة مرددين .

راح الشباب .. هوبي
وين الاحباب .. هوبي
ما ظل عتاب .. هوبي

اما هوبي فيظل على مبعدة منا يخزنا بنظرات ساهمة ثم يمضي فتراه يهيم في التلال البعيدة أو يمشي حافياً خلال سوق الخضار أو علوة السمك أو يقف متبختراً على طلل في الطريق الى مقبرة المدينة ثم تراه فجأة ينحدر من اعلى. لقد رأى جنازة. لابد ان يتصدر النعش مبتعداً بضع خطوات. يؤذن مكبراً. ثم حين يُسجّى الميت على الارض. يصلي. قائماً قاعداً يتلفت يميناً وشمالاً يجأر وحده. يتلوى في مساحته وحده غير ان احداً قلما يعير اليه التفاتا. فالناس في تلك اللحظات الحرجة منهمكون في اداء طقوس الدفن وحالما يفرغون من ذلك يعودون من حيث جاءوا غير ان هوبي يمد يديه املا في شيء فاذا لم يحصل تواري عن الحشد ومضى ليقعد بعد دقائق بين قطع الرمل وقطع الرخام متربعاً والموتى يحيطون به من كل ناحية .. هنالك يكلم الموتى يقرؤهم السلام ويمطرهم بوافر وده ويظن انهم بالمقابل يتبسطون معه ويحنون اليه واذ هو كالنادل يرفع كأس الشـراب · يتهدده خـوف ما وكمـن مسـه خطر مفاجيء يشمر رأسه مائلا بجذعه نحو الخلف وسرعان ما يرتطم رأسه بحجر أو شاهدة فيهتز كيانه كله ويصرخ .. آخ .. آخ .. راح اموت .. لكن لا احد ينجده وما هي الا دقائق حتى تمتد راحتاه حذرتين فيجس بهما الرؤوس في غابة الموتى ويعاود الهدوء ثم يمعن فيهم فيحسدهم على مايتمتعون به من هناءة وراحة بال. فاذا اطمأن الى المكان اكثر جلس واضعا امامه على طرف دشداشته كرزاً ومنديلاً اسود وزجاجة عرق بيضاء .. يشرب رويداً رويداً والموتى يتربصون به فاذا ما سكر وانتشى. شرع يغني. فاذا غنى تململ ثم اخرج حشرجة وصوتاً خربا. ولما لم يستطع رد صفعة الموتى راح يخرج لهم لسانه ويلعبه بين شفتيه فيسيل الزبد وتطفو رغوة العرق فاذا بنا نحن نخبىء انفسنا خلال شواهد الرخام أو مقالع الحجر نطلع كالجن من شقوق الارض نقترب من مملكته هاتفين :

عوف الشراب .. هوبي
باجر حساب .. هوبي
ماظل عتاب .. هوبي

نهرب يركض خلف ظلالنا في وحشة مترامية فلا يمسك بشيء . الموتى ما برحوا نائمين صامتين كالحجر اما هو فغالبا ما يعثر خلال منحدرات التراب ، نملأ الوادي ضحكاً حين يسقط ، يعاود النهوض واذ يستقيم ، وينحني باتجاهنا ، يرى اشباحنا ، ما زالت تقف منتصبة تترصده بنظرات قططية فماله سوى المزيد من السب والشتم على طريقته .. كفاه مملوءتان حصى يرمي بهما فتصطدم غالبا بالشواهد او بمياه السبيل ، كفاه ترتعشان ، وخده ازرق مثل بضعة اللحم فاضحى بلون الزمهرير .. يزعق في صراخ متصل فيردد الوادي صدى صرخاته . وخلال ذلك هو يعرف ايضاً كيف يغافلنا في لحظة ويختفي عبر مفاوز المقبرة الواسعة وحين نبحث عنه لا نجد لخياله اثرا ونعود صعدا الى ارض المدينة مرهقين ، فالطرق ليست سالكة ترهق المترجل بالتواءاتها فكيف بمن يحاول الركض خلال المنحنيات وتضيع اقدامنها خلال الازقة ومتفرعاتها ، نفترق عائدين لاهثين مثل كلاب الصيد وقد جنحت الشمس للمغيب والمساء قد هبط .

ـ اين كنتم ياتعساء ؟
ـ كنا نركض ..
ـ وراء هوبي .. اليس كذلك ؟
ـ طبعاً
ـ اتركوا هذا المسكين يااولاد .
ـ رأيناه يشرب .
ـ يشرب ماذا ؟
ـ العرق .
ـ وتريدون عقابه ؟
ـ ألا يستحق ؟
ـ بلى .. ولكن الرب يعاقبه .

ـ متى ؟
ـ حين تقوم الساعة .
ـ ومتى تقوم الساعة ؟
وهنا ينهرنا الاهل قائلين :
ـ اخرسوا .. يالكم من صغار (ملاعين)

نهضنا في الصباح مبكرين استعداداً لجولات قادمة . فحين سمعنا خوار بقرة زهرة وصوت تساقط الحليب في (الطاسة) البيضاء المستديرة . وصيحات حمد (كعك .. كعك) تحفزنا للخروج وانبسطنا بعد الفطور تسللت خيوط الشمس الى النوافذ والبيوت . عدنا لهوبي اين هوبي ؟ لا وجود له قلنا : هوبي هبط نحو الموتى . زار امكنتهم تحت الثرى . لم يخرج حتى الان . سقط في بئر عمياء اذن . غيبته السراديب . طاح سقف قبر على رأسه انتهى كيف ؟ لا ندري . من يدري سكران لو كان يمشي في هيمة . لهان الامر . لكنه ترك يجوس في حفرة . وحفار القبور لو عثر عليه في الحفرة فهل سيعيده الى اهله ام يحسبه ميتا فيواريه التراب ؟ تزاحم في ضمائرنا اكثر من سؤال . قلقنا عليه . كدنا نبكي . لولا ان احدنا قطع حيرتنا وصاح .. هوبي .. وما ان لمحناه في اخر الزقاق حتى توقف امام دكان ابي طالب الخصاف . واقتربنا منه دهشين . في البدء لم يرنا غير انه سرعان ما تلفت خلفنا فرانا كالشياطين نرقبه . زوى ما بين حاجبيه . هز رأسه . برطم . لطخ الشحوب وجهه والارتباك بدا عليه فتح فمه . كشف عن اسنان سود لثغ الراء غيناً ثم لعن الدنيا وشتم من فيها فلم يكن بوسعنا عمل شيء سوى ان نصطف هادرين :

اسمه وهاب .. هوبي
جسمه خراب .. هوبي
ما ظل عتاب .. هوبي

نهضنا الضحى فاليوم يوم الجمعة . لعبنا سمبيلة السمبيلة هذه المرة ثم مللنا اللعبة . سألنا عن هوبي قالوا لم يأت الى الدكة ولا مر على الدكان . وانه لابد ان يكون في المقبرة او في الجذول الكائن في ظاهر المدينة أو ينام في ظل كهف ما هناك . لكن من يدري فقد تراه يحمل بضائع لهذا أو ذاك عند مدخل سوق التجار أو صار في لحظة سائس عربة يجرها حصان بعيداً عبر الوهاد هادراً بالضحك والصفير لكن من اين تأتيه القدرة على فعل ذلك . لقد شحب وجهه . وقل اكله . قال الخصاف : هوبي اكثر اهل المحلة اقبالاً على الطعام . هو قلما يشبع . حتى بتنا نصدق من يقول ان في امعائه أكثر من دودة . اظن ان شهيته قلت بسبب أدمانه الشراب .

تأفف ابو طالب وتنهد قائلاً لعن الله شاربها وحاملها وبائعها . اما زهرة بائعة الحليب فقد فتحت عينيها الكحيلتين على وسعهما . ومسحت فمها الارجواني بكمّها المتهدل وقالت : ان هوبي لم يضعف جسمه ويتغير لونه بسبب العرق بل انه اعتاد ان يبيع دمه ! اتسع قوس الدهشة في الوجوه .

ـ زهرة ماذا تقولين ؟
ـ ألا تعرفون ذلك ؟
ـ من اين لنا ان نعرف ؟
ـ ألم تسمعوا ؟
ـ زهرة . صحيح ان هوبي يفعل ذلك ؟
ـ اذا لم تصدقوني فاذهبوا الى امه .
ـ نسألها ؟
ـ أسألوها . ستقول لكم ان هوبي يبيع للمرضى دمه .
ـ لقاء ماذا ؟
ـ دراهم معدودة
ـ لكن ما الذي يفعله بالدراهم ؟
ـ يشتري .
ـ ماذا يشتري ؟
ـ يسموته في بغداد حليب السباع . عرفتموه ؟
ـ لا أبدا اي حليب هذا ؟
ـ عرق .. عرق ..
تشبثنا بزهرة اكثر قلنا لها :
ـ لكن منذ متى يفعل هوبي ذلك . هل تعرفين ؟
قالت :
ـ منذ سنين ... !

اغلق ابو طالب دكانه . ذهب الى المسجد لاداء صلاة الظهر فقد دقت الساعة واذن المؤذن على حين شرعت زهرة تجر بقرتها الى زريبتها في كوخ يبعد مسافة زقاقين أو أكثر . اما نحن فقد احتمينا من شواظ الشمس بسكب الماء على ثيابنا وارجلنا واختبأنا في المنازل ريثما تميل الشمس وترحل نحو الغرب . ضاقت بنا مخابىء الحجر . ضقنا ذرعا بالصمت ومثلما تستفزنا المنازل بحجراتها يوحشنا صمت الظهيرة .. ومثلما يستهوينا الزعيق والركض في البراري . يطربنا النقر على الصفائح . وهوبي يوقظنا بصوته الاجش . ونبرته البحاء واذ نسمعه عن قرب نعود فنرى فوق الدكة جسداً مسطولا التف ببساط اخضر نقترب فنخاف غير ان خوفنا

هذه المرة مشوب بفرع غامض بعودته. نقترب منه ثم سرعان ما نرتد. انها واحدة من حيل يفتعلها هوبي فلا تنطلي علينا.

- هوبي .. هوبي

انه لا يجيب. استغرقه النوم. نوم الدببة. علا شخيره ثم تململ جسده كالمريض هل ندعه يغرق في نومه؟ لعله يحلم! لكن هل يحلم حقاً؟ طال انتظارنا اذن لنوقظ الجثة من سباتها. تهيأوا. يا بغار. تهيأنا. اقتربنا من اذنيه هتفنا:

حلمك سراب .. هوبي

شعشع وغاب .. هوبي

ما ظل عتاب .. هوبي

وان هي الا لحظات حتى تكشفت الجثة عن شخص السيد حليحل السقاء. فضج المكان بالضحك وقد جعل السيد قربته مخدة. وحزامه الاخضر بساطاً. ينام القيلولة على دكة هوبي ويخدعنا ولا يدري وحين يرانا يقول (اتركوا هذا المسكين يالاصدقاء) وتركنا السيد في مكانه يتثاءب وقد بان شعر فخذيه اسود غزيراً وبرزت دوالي ساقيه كما لو انها فتائل مجعدة.

ونحن الذين اعتدنا لن نراه صباح مساء فلم نره كأنا باختفائه فقدنا الصديق.

- ما العمل اذن؟

- لتكن الجولة دون هوبي.

- هذا لا يمكن وقلما حصل.

- نبحث عنه؟

- نعم.

- فلنعبر هذا الزقاق.

فما ان عبرنا حتى صدنا تل من التراب. قطعنا التل. هبطنا بحذر يزحف زحفنا فعلا نحو جحر جحري لاج كالكهف غائراً في عمق امتار داخل الارض ولاح المكان كالبرج يتصدره باب عريض. باب كامد من الخشب رصع بدوائر من نحاس. النحاس فقد بريقه. الخشب تخرم فتساقطت منه بقايا صدأ ولكمات من الحناء الصقت كالاصابع. وبرزت بشكل يلفت النظر. طرقنا الباب. طلعت طفلة في السابعة جعداء الشعر تأكل حلوى وترتدي ثوبا موشى بالنميم رمادياً تهزأ من اسفل قلنا للطفلة اخبري امك بان في الباب جماعة يريدون رؤيتها. مرت دقيقتان أو أكثر حتى اذنت لنا بالدخول. دخلنا خمسة من الصبيان مرة واحدة. دخلنا

صامتين ، مجللين برهبة لاسيما بعد ان اجتزنا مجازا شبه معتم ثم اذا بنا نجد انفسنا نجلس متقاربين على حصيرة في حجرة ضيقة . نظرنا على استقامة فرأينا حوضاً من الماء مربعا ، مخضر الحواشيء على مقربة منه انتصب مقعد خشبي ادكن بلون السيان لمعت فوق سطحه قطرات ماء . لم يطل انتظارنا لولا صوت ام هوبي سمعناه خلال الجدران ناعماً عميق النبرات شبيها بصوت الملة (صفية) الذي اعتدنا سماعه وقت الاحزان .. سمعنا ام هوبي تقول (اصبري ياام سعيد ولا تيأسي من رحمة الله والغائب سيعود) خرجت ام سعيد تجر ذيل عباءتها السوداء وتجر معها حسرة طويلة بينما بدا واضحاً ان مضيفتها تحمل في ثنايا يديها صرة رمادية حوت قواقع واحجاراً واصداف محار ميت .. بعد ذلك بوقت قصير عادت فسلمت علينا ولاح طيف ابتسامة في عينيها العميقتين ، وراحت تستعرض وجوهنا واحداً واحداً مرحبة بنا ترحيبا تتخلله عبارات ثناء لبقة جدا لم نعتدهما لدى عجائزنا وحين عرفت اسماء بعض من امهاتنا اطمأنت وابدت ارتياحها وقالت :

ـ انتم تطلبون ان اقرأ لكم
ـ انت افضل من تقرأ
ـ ولكن مالكم وهذا الأمر ؟
ـ ولم لا يعنينا هذا ؟
ـ انتم صغار ابرياء ..
قلنا :
ـ والصغار اليست لهم أسرار ؟
قالت :
لا ..

ظلت كالحيرى تتأمل في ملامحنا خيم في ضوء عينيها ظل اسود ، انحبست فيما بين الجفون دمعة ، رفعت يديها نحو طرحتها البيضاء ، استعاذت بالله . حاولت في تلك اللحظة ان تحجب مابين انظارنا الشاخصة وعينيها بنقاب لم يتضح ، بيد ان حركة يديها كشفت عن ورقة طويلة جداً وظلت تتسربل على طول قامتها . استغرق طيها بضع دقائق اختفت في الظلام ثم ما لبثت ان عادت تسأل ان كان لدينا شيء نقوله قلنا :

ـ نحن جئنا نسأل عن هوبي ، اين اختفى هل تعرفين ؟

تحيرت النظرات في عمق عينيها ثم انسدل شيء من طرف وشاحها فغطى شعرها ومقدم جبهتها قالت :

ـ سيعود .

تنهدت ، ثم هزت رأسها كما لو كانت تقرأ في كتاب ثم اشرقت عيناها بالدموع قالت :

ـ الله ـ كما تعلمون ـ يرحم لكن الناس لا ترحم .

ـ هوبي انسان طيب ، نحن نعرفه .

ـ اتمنى أني لن اراه ابداً .

ـ نحن نريد ان نراه .

ـ مالكم ؟ حتى انتم لستم رحماء به .

ـ هوبي صديقنا ، ماذا تقولين ؟

ـ اقول قد حل الشيطان في رؤوسكم .

ـ لا أبداً .

ومثل المرأة بكينا ، وحين مسحنا حبات الدمع التي انسربت خلال اصابعنا قلنا لأم هوبي :

ـ صحيح هوبي يبيع دمه ؟

ـ صحيح ، كيف عرفتم ؟

ـ سمعنا هذا .

ـ ولكن لماذا يبيع هوبي دمه ؟

ـ اسألوا والده .

ـ والده . اين يقيم ؟

ـ يقيم في قبره .

عادت المرأة للبكاء ، فاحمرت عيناها وانتَ انيناً خفيفاً غير ان صوت السيد حليحل السقاء (ماي .. ماي) قد قطع صوت ولولتها نهضنا متباطئين ، وحين ودعناها ، اطللنا بفضول على كوز الماء في المدخل اذ رأيناه فارغاً خرجنا ، معاً فارغين ، لكن ممتلئين بحلم غامض ، سرنا في الشمس ، نحلم بهوبي والاراجيح ، لكن الريح اشتدت ، عصفت بنا عصفاً والزرقة في اعالي السماء تضاءلت تماماً .

مثلما تنتشر النجيمات في اقصى السماء ، انتشرت حبات الرمان بدمها في طبق ، دنونا منه اهتزت الاراجيح بمن فيها ، ارتفعت في الهواء اعلى فاسفل ، تدحرج الطبق المعدني فارغا . الورق صار زورقا . الزورق مشى في الماء . تلالا من الخريط انفرطت في اكفنا مثل فتات الخبز اخذناها على عجل . التهمت قبل ان يطفو الجسد سابحا في المياه الموجية هل جئتم ؟ شخص ما جاء بالديري . تكسر الديري وصلصل فيما بين الاسنان صلصلة الحصى ظمئنا للماء والماء جار في الفرات ، وعربات العيد . ركبناها العربات تضج بالصبيان وبلب الجمباز . تمر عبر سهب من الرمال تسير بطاء في عرض الصحراء الكل يغني اغنيات الطريق . هوبي على مبعدة منا اوفر حظا . يمتطي حصانا . من اين جاء بالحصان ؟ نحن لا ندري . الحصان البني كالطائر يثير دقائق الرمل مثلما يثير حفيظتنا يجتازنا . راكبه هوبي يرفع يديه يحيينا بكلمات لا نكاد نسمعها . يضحك للهواء والشمس والمطر

ثم يغيب عن انظارنا ذائبا في الشفق . لكننا بعد حين نلتقيه عند الاراجيح . الاراجيح اه .. مازالت معلقة في فراغ المساء تردد صدى ضحكاتنا . تأخذنا الاراجيح اعلى فاسفل فاعلى ننزل منها نقتاد هوبي ليدفع باجسادنا . يدفع من جهة الظهر لكن على مثلثات من الخشب . المثلثات تثبت في اطرافها حدائد دائرية من البربرين المحشو بالصجم . الحدائد تتلامع كالفضة تحت ارجلنا . تسير بالعربات المثلثة . نعبر بها الازقة . والقباب الزرق . والمنعطفات التي تليها . نعلم بالرحيل الى اماكن لم نرها . نصرخ . يعلو صراخنا (لاسيما حين نرى شخصا نعرفه يبغي الرحيل معنا) غير ان هذا لا يدوم طويلا اذ تؤخذ العربات منا عنوة لاننا صغار قد نجرح شرطيا أو أعمى أو احد السابلة فاذا لم نبك نعود الى قامات النخل نلمح عبرها الاراجيح موصولة من اعلاها بحبال القنب . فان تركناها . بعد تعب . شدنا من الرمل . في ظلها بيوتا احطناها بالزوارق والسواقي فان هدمت البيوت وانكفأت الزوارق . عدنا الى لعبة ـ شبي ياحيدر ـ حيث العصا تضرب العصا فتشب احداهما ويرتفع الصياح هلاهل .

فاذا شهدنا طائر الورق والفنارات خضراً وحمراً وصفراً تخرق ظلام المساء امسكنا خيوط البكرة فارتفعت في الليل اوراقنا كالمناديل . وفي الصباحات تستفزنا كومة العصافير بهدير شقشقتها مثلما يستفزنا شذا زهر العشبش ونفرح اذ ستمتلىء بعد ايام جيوبنا بالنوى مشمش ونلعب لعبة النوى مشمش ونتركها حالما نرى جمال البادية تأتي على مهل كل عام تبرك في (المناخة) جائمة تحرسها عيون البدو . هوبي يتلوى الما لانه لايستطيع سرقة جمل ليهيم به عبر الصحراء . فماله

سوى ان يبرك مثل الجمال . يقهقه في حضرة البدو الصامتين أو يمضغ ما تبقى من شيء شبيه بنباتات الحلفاء فان سألت هوبي ماذا تأكل اجابك بسرعة (خبيز .. خبيز) واذ نقترب منه تلك اللحظة نسأله :

ـ هوبي تحب الجمل لو الحصان ؟
ـ الحصان
ـ العرق لو الحصان ؟
ـ الحصان
ـ نفسك لو الحصان ؟
ـ الحصان
ـ ابوك لو الحصان ؟
ـ الحصان

ينهض هوبي يحدق في عيون الجمال ، يقف امام اصحابها من البدو الملفعين بالفراء . يمد ذراعه اليسرى ثم يثني تلك الذراع مرة بعد اخرى متأملا فوقها كلمات (لاسيف الا ذو الفقار) موشومة بخط ازرق دقت فوق العضد والساعد . واذ يهيء جسمه للحركة وهو واقف في مكانه يخرج صوتاً كالصهيل ثم يجمحم ماذا ذراعيه الى الامام . تمسك كفاه برشمة رسمها في الهواء وقبل هذا يكون قد حدد بقدميه موضع السرج والركاب وحين يعطي لنفسه اشارة الحركة يصهل ثم يعدو مسرعا كالحصان :

ـ اين كل ذلك المدى ؟
ـ غاب .. ؟
ـ ما غاب ..
ـ اين هوبي اذن ؟

ادخل منذ يومين أو اكثر للعلاج .. لكن المسالة لا تقف عند هذا الحد انما لابد من اجراء عملية . العملية تحتاج الى دم . وانه ليس جاهزاً على الدوام . الطبيب اتصل . حاول ان يحصل على دم . المستشفى ازدحم بالصبيان . امه التي تمنت ذات يوم ان يرحل ابنها تخلصا من عذاب الدنيا تقف الان بين جمهرة نساء تقول خذوا دمي .. لكن الطبيب يوكد لها ان ليس باستطاعتها اعطاء الدم . لا أحد اذن يتبرع بل لااحد يبيع دمه لقاء ثمن . لم الشمس تتكيء على طرف السياج ترسل لهباً ازرق . صارت تقترب من الارض اكثر . الضجة تتسع . الغبار يغطي سماء المكان

نفسه بعباءتها السوداء تقف كالغريبة تمسح بشالها الابيض الغبار وحبات العرق ، الدموع تملأ عينيها الواسعتين تنفرط في اصابعها ترتل في خشوع المزيد من الايات ،

ترتجف في الضوء الكابي ، تجتاز كل عقبات الطريق والزحام ، تغوص قدماها في الطين وبيوت الناس تبحث هنا وهنالك تتصل بهذا أو ذاك ممن تعرفه وممن لا تعرفه تلفها الحيرة ويغشاها الذهول ، تصيح لكن من يسمع ؟ ما عاد يسمع صوت استغاثتها بل ما عادَ احد يصدق ان هوبي يطلب دماً فالدنيا لابد ان تظلم والاشياء تفقد الوانها ، والاصوات تجف ، لا شيء اذن لاقطرة امل ، لكن الامل في لحظة يأتي ، تشكلت اطيافه للتو ، بزغ حين الفتى الطويل مرق كالسهم وسط الهمهمات ، دخل الفتى دخل الامل كله ، استقبله الطبيب مرحباً قالوا المتبرع بالدم قد جاء ، صلوا على النبي ، تنفست المرأة ، استطاعت لحظتها ان تميز من كان حواليها من البشر حسنا ، هوبي سيوهب الحياة زهرة لملمت اطراف ثوبها

بعد ان اطرقت في صمت ، ابو طالب قال : لو اني استطيع .. لو اني استطيع ، مرت الدقائق ثقيلة كالرصاص ، الانتظار تمدد والصمت عرش فوق الوجوه ، الفتى المتبرع دخل غرفة الطبيب ولم يخرج ، ما الذي حصل ؟ ما حقيقة الامر ؟ ثم ما الذي سيقوله الطبيب؟ لاأحد يدري لاأحد يقول شيئاً لكن.. بين بزوغ الامل، واختلاجه اطل رأس الطبيب اخيراً تنهد الرجل وحين اعاد الى وجهه نظارتيه الزجاجيتين قال :

ـ للاسف ، الفتى جاء متأخراً .
ـ ماذا تقول متأخراً ؟
ـ نعم متأخراً فماذا نفعل ؟
تململت ام هوبي اختضت كالسعفة غامت عيناها . ضربت كفا بكف ثم صرخت « سبحانك » .